ما يشبه الكوميديا التراجيدية

«ثورة» الجندرمة

لا نريد أن نقول كما يقول البعض تباً لها من ثورة، فمهما كان نحن مازلنا نقدر لأولئك الشباب خروجهم البريء الى الساحات بدافع نبيل وبهاجس وطني خالٍ من وسوسات السياسة وشيطنة الساسة ومازلنا نكن كل الاحترام لكل العقلاء في المعارضة ونخاطب فيهم ضمير الوطن وروح الحقيقة.. لكننا نقول: عجباً لهكذا ثورة في اليمن، وتباً لها إن لم تتعقلن وتتلمس جوهر الحقيقة كي تنبذ الأوصياء والأدعياء وعشاق الكهوف، فقد صارت حالة مفزعة ليس فقط بما تشعله من حرائق وتزرعه من ألغام لكن ايضاً الاستلاب الثوري والفقدان التدريجي للقيمة وضآلة المستقبل في الوعي والحلم والإرادة، صارت حالة مملة تصيبنا بالغثيان كلما أمعنا فيها بعقولنا وضمائرنا، حالة أشبه بالكوميديا التراجيدية في آن واحد، تكشف حجم العبث والعدم وفقدان المعنى، والهوة بين وعي الساحات وبين المستقبل، حجم الفراغ في الذاكرة المثقوبة التي احتشدت كي تصنع حدثاً عظيماً، وتراهن عليه من لاشيء ومن أفكار وتطلعات ممزقة ومتناثرة الى أشلاء.

محمد علي عناش

بالفعل لقد تجلى حجم الفاقد الوطني وقبح الوعي بالهوية الوطنية، ومقدار الفضيحة التي يحدثها السياسي والمثقف من الفصيل التقدمي وتجلى أيضاً بوضوح حجم الوعي باقتناص الفريسة وإحكام السيطرة على الغنيمة لتراكم تاريخي حقيقي للوعي الغابي والغريزة العدوانية التي تريد أن تنفذ ثورة من بوابة الجريمة.

الصلاة للصواريخ

عجبت لهكذا ثورة في اليمن تجمع فيها كل إشكالية الوطن وإشكالية سبتمبر واكتوبر ودولة النظام والقانون، وإشكالية الأمن والاستقرار والتحديث في بلدي، وايضاً طامحون وانتهازيون من العيار الثقيل، انتظم الجميع في طابور ثوري طويل، مجسداً أعلى حالة تزوير للحقيقة وللتحولات السياسية في وطني، صاروا اليوم يتصدرون الفعل الثوري، ويتكلمون عن ثورة تغيير، ولا أعلم بأي ضمير وبأي إحساس وبأية إرادة، وهم في الحقيقة غابيون في الوعي بالحياة، يصنعون حدثاً ثورياً غرائزياً كما في أرحب وأبين والحصبة وايضاً في تعز الحالمة، وتطلق لهذه الغرائز عنان الجريمة والتوحش باسم ثورة الشباب السلمية وباسم المدنية والشرعية الثورية التي تفقهها وتبدع فيها قبائل اليسار كقبائل اليمين ولا فرق، والشباب يقولون انه ليس لهم علاقة بما يجري ولايعنيهم في شيء، الا أنهم يشيعون في الساحات قتلى من نهبوا المنشآت واضرموا النيران في مبنى الطيران في الحصبة، ويصلون صلاة الغائب على قتلى القاعدة في زنجبار وأرحب بوصفهم شهداء وأبراراً ثوريين، لاعلاقة لهم بما يجري حتى لو غنوا ورقصوا وذبحوا الذبائح في الساحات، عندما داهمت جامع النهدين صواريخ ثورية فتاكة.

إن ترديد الشباب أن لا علاقة لهم بما يجري هو صحيح دليل براءة من الفعل، لكنه دليل بؤس كامن في النفوس والضمائر وحالة عمى ثورية، فالمشهد الثوري جعلنا نقف أمام حالتين الأولى حالة فعل وحسم ثوري مسلح (انقلابي) وإمعان في تدمير وطن، وفي الثانية حالة غيبوبة في الساحات وحالة فصل بين الدال والمدلول والسبب والنتيجة، جعل الوعي بالثورة مشوهاً، محيلاً ما يجري في مجمله الى ما يشبه الكوميديا الهزلية بمضمون تراجيدي جداً.

فرمل يا بلطجي

اتصل بي صديق إعلامي من ساحة التغيير بصنعاء، لم يقل «عيد مبارك وكل عام وأنت بخير» لكنه باشرني مازحاً: يا بلطجي الجميع يقولون لك فرمل، لماذا لم تؤمن بالثورة بعد؟ أدركت أن «يا بلطجي» و «فرمل» له علاقة بما أكتب في صحيفة «الميثاق» فقلت في نفسي سحقاً ستة أشهر من عمر الحالة الثورية ولم تتغير هذه الكلمة أو حتى تتعدل دلالاتها لدى الثوار، بل على العكس اتسعت دائرتها الاسقاطية بصورة سمجة، لتعبر أكثر عن نزعة اقصائية ونزعة فيها شيء من الاحتكار والإلغاء للمختلف.. فلم يعد البلطجي من يكسر النظام والقانون ويتعدى على حقوق الآخرين، بل صار كل أتباع النظام والحزب الحاكم بلاطجة، وكل من له موقف مغاير خارج الساحات يطلق عليه «بلطجي»، لقد صار التعبير بهذا المصطلح بمرجعية نفسية أكثر منها لغوية، فانحرف عن دلالاته الواقعية الى أفق دلالي آخر ليعبر عن ثقافة جديدة مأزومة بدأت تعبث بالمفردات، وتدمر منظومة القيم والعلاقات الحميمية لدى الانسان اليمني.. أطراف عدة اشركت في تكريس هذا المصطلح بخلفيات متعددة وكأن الساحات رحاب مقدسة وما دون ذلك شقاء وزيغ وضلال.

فرجال الدين أمعنوا في وصف من بالساحات بالمجاهدين وما يحدثونه من أفعال جهاد مقدس، وان اتباع النظام والحزب الحاكم يعبدون الفرد ولن ينتقلوا الى عبادة الله الا بالنزول الى الساحات ورجل السياسة يصف الثوار في الساحات بأنهم «الشعب» ويتعاطى مع كل الوسائل الاعلامية بهذه الصيغة الكلية، وكأن من هم خارج الساحات ليسوا من الشعب، لذا لا غرابة أن يطل أحد الشباب وفي ندوة تبثها قناة «الجزيرة» ليقول ان من هم في السبعين هم أسوأ الناس، ولم يخجل أو يتورع محمد الصبري عندما قال: «إن الثورة سوف تجرف القمامة» قاصداً بذلك أتباع المؤتمر الشعبي العام.. وعليه صرت ملحقاً بالبلاطجة، لكن في خانة صحفي مستقل مناهض للثورة.

قلت لصاحبي أكيد أؤمن بالثورة وبالتغيير وأنشد المستقبل دائماً ولا يمكن أن نحدث التغيير ونحقق تحولات المجتمع الحديث، ونحن قابعون في موضع مختل أو راكد، وإنما يجب أن نثور الركود، ونفعل الإمكانات وننفذ الى النور من أقرب ومضة ضوء تلوح لنا في الأفق لأنه ليس بالضرورة أن نظل نفكر بعقلية وهوس الخمسينيات والستينيات أو نستنسخ تجارب فاشلة ومدمرة..

فالمفهوم الكلاسيكي للثورة لم يعد مجدياً وليس سلوكاً عصرياً، ولن يأتي لنا بشارل ديغول، أو الزعيم جمال عبدالناصر أو الشهيد ابراهيم الحمدي، سيأتي لنا بالجنرال علي محسن الأحمر ومن ورائه سلطة دينية متطرفة يمثلها الشيخ الزنداني، هكذا تقول معادلة الثورة في الميدان اليمني.

أراد الشباب بعفوية وبلا خبرة سياسية وتنظيمية أن يصنعوا حدثاً ثورياً كتونس ومصر، فاستثمرت قوى متطرفة جهد هذا الحراك العفوي، لحسم فعل ثوري مسلح، أدواته عساكر الفرقة ومليشيات جامعة الإيمان والجندرمة القبلية، وها هو الجنرال يدشن ذلك عملياً في اكثر من جبهة، وأكد ذلك ليلة عيد الفطر ومن على شاشة قناة «سهيل»، فكما يفعل الزعماء والرؤساء ألقى خطاباً سياسياً ثورياً، وهنأ الشعب اليمني بمناسبة عيد الفطر لم يكن الأمر عادياً وإنما كان ممارسة رسمية كزعيم قادم.

ثاني أيام عيد الفطر كنت في زيارة عيدية لذات الصديق بإحدى قرى ضواحي مدينة حجة بحكم المصاهرة بيننا، وجدت في ضيافته صحفياً يكتب في صحيفة «المستقلة»، هما من أنصار الثورة من فئة المستقلين والنشطين إعلامياً، لذا كان اللقاء حوارياً ساخناً بيننا، وبقدر ما فيه من هم وطني بقدر ما فيه من ضبابية وتصلب في الآراء واجتزاء للقضايا والاحداث، وايضاً تخوف مما يجري، والآتي بالنسبة لهم لايزال مجهولاً، كما أن حماسهما الثوري لم يمنعهما ان يعبرا عن خوفهما من القوى التقليدية والمتطرفة التي تتربص بالثورة منذ أن عسكرتها وحولت المشهد السلمي للثورة الى ثكنات عسكرية ومتاريس حربية ولجان تحقيق واعتقالات.

إن الثورة ليست حالة فجائية تفرضها بعض الظروف المختلة، أو إرادة بعض الطامحين والمغامرين أو شلة من الأدعياء والمراهقين سياسياً، ولن تكون تداعياً لأحداث هنا وهناك، فالجاهزية الاجتماعية والسياسية لصناعة ثورة تختلف من هنا وهناك، فستكون هذه الجاهزية لدق طبول حرب وصناعة مأساة ليس إلا.

قد نعذر بعض المسؤولين الذين قدموا استقالاتهم ونزلوا الى ساحات الثورة وهم نظاف وتاريخهم يشهد لهم بالنزاهة لكن من غير المعقول والمنطقي أن فاسدين من نوع العيار الثقيل، ومن كانوا يمثلون دولة موازية داخل الدولة ومن أعاقوا بناء دولة المؤسسات ونسجوا باسم النظام شبكة كبيرة من التحالفات خارج دائرة النظام والقانون، ومن كانوا ملكيين أكثر من الملك، فحجبوا الحقيقة عن الحاكم واقترحوا أن يتولى الرئيس دورة رئاسية أخرى، كل هؤلاء تحولوا بقدرة قادر الى ثوار ويتكلمون عن الثورة وكأن الواحد منهم جيفارا أو مانديلا.. المرحوم الدكتور عبدالعزيز السقاف كثيراً ما كان يتكلم بصورة تحليلية عن بؤر الفساد الكبيرة التي استنزفت الخزينة وغرمت الاقتصاد الوطني، كان دائماً يستشهد بمعسكر الفرقة الاولى مدرع وتوابعها من الكتائب والمعسكرات بصفتها تحتوي على اكبر كم من المجندين الفرار، والوهميين ومرتباتهم لاتزال معتمدة وتصرف وهي ذات المعسكرات التي رفضت لجان الكشف والتصحيح، ورفضت تطبيق نظام البصمة..كما أن هناك كتاب يكتبون للتاريخ من هؤلاء الكاتب المتألق عبدالرحيم محسن الذي حرمنا من كتاباته منذ أن استغرقته الرأسمالية التعزية وهو جهد عظيم في سياق كتاباته للتاريخ، ففي النصف الآخير من التسعينيات تكلم عبر سلسلة من الحلقات والمواضيع المتفرقة في صحيفة «الثوري» عن الظاهرة الدينية المتطرفة التي بدأت تظهر وتبث وتتشكل بكثافة في محافظة أبين، وارتباط هذه الجماعات بالقائد علي محسن الأحمر، ومدى ما تمثله في المستقبل من خطورة على الأمن الوطني والسلم الاجتماعي.

مبادرة الرئيس التي أطلقها في أبريل أهم من المبادرة الخليجية

الغابويون يقترفون جرائم أرحب وتعز وأبين والحصبة باسم ثورة الشباب

المفسدون في البلاد صاروا يقلدون جيفارا ومانديلا

مأساة أن يتحول قتل الجنود في معسكراتهم إلى جهاد مقدس

المتطرفون استغلوا عفوية الشباب وتقدم الركب علي محسن والزنداني

الغريزة العدوانية تريد تنفيذ ثورة من بوابة الجريمة

ما يحدث اليوم في محافظة أبين من مواجهات مع تنظيم القاعدة يعكس أهمية ما كتبه هذا الكاتب وكيف ان بعض الكتابات الخطيرة تقرع جرس الانذار مبكراً لكن دون أن يسمعها أو ينتبه اليها أحد.. وبالعودة الى صديقي قلت إن الثورة التي نؤمن بها هي في المقام الاول ثورة وعي بالشكل الوطني والإدراك السليم بأول خطوة نخطوها في المستقبل، وباختصار فكرة الثورة دون إيغال فلسفي في المفهوم لها من ثلاث مكونات ومرتكزات وهي «المشروع + العنصر الحامل للمشروع + الأدوات السليمة والنزيهة لتنفيذ المشروع» والوعي بالثورة من هذا المنطلق مسألة حتمية ومصيرية تقف أمام رياح التغيير ومرحلة التحولات التي أصبح يفرضها منطق العصر والمتغيرات العالمية.. فمنذ أول يوم للثورة الجماهيرية في تونس سقطت عملياً توجهات الرؤساء للتمديد أو التوريث، وأصبحت المرحلة مهيأة بصورة جدية أكثر من ذي قبل لإجراء عملية اصلاحات جذرية وعميقة في أكثر من اتجاه وفي مقدمتها الاصلاحات السياسية وتهيئة الاجواء للانتقال السلمي للسلطة.

غير أن النزعة الثورية الكلاسيكية واختزال الوعي بالثورة في اسقاط الانظمة حال دون ذلك خاصة في البلدان التي تشهد اضطرابات وفوضى، والى الآن لم تقدم صورة مثيرة للتغيير المنشود، نتيجة للتوليفة المتناقضة لهذا الحراك الثوري الذي ظهرت سلبياته أكثر من إيجابياته.

المبادرة التي تقدم بها رئيس الجمهورية قبل الجمعة الدامية بأيام، والمتعلقة بالنظام البرلماني والقائمة النسبية ونظام الاقاليم، والتحضير لإنتخابات برلمانية ورئاسية مبكرة، متعهداً بأنه لن يترشح وكذلك ابنه أحمد، في اعتقادي كانت تعتبر صيغة مناسبة للحل، ومتقدمة حتى على المبادرة الخليجية ومع ذلك لم يتم التعاطي معها بعقلانية وحس وطني، لدراستها والاتفاق على الآليات المناسبة لتنفيذها، لم يحدث ذلك إنما جاء الرفض مباشرة والمبرر ان الرئيس لن يصدق ويراوغ في تنفيذ المبادرة، وهو مبرر واهٍ وضعيف خاصة في ظل الظروف التي تمر بها المنطقة.. ومباشرة بعد هذه المبادرة ورفضها تعقدت الأزمة وتطورت الاحداث واتجهت في مسار دموي دراماتيكي وكأن المستهدف الرئيسي من ذلك هو المبادرة، كي لا تتحول الى مربع التفعيل والتنفيذ، بعد أن كانت أطرافاً اقليمية ودولية بدأت مساعيها في اتجاه تفعيل المبادرة..حقيقة لقد تجلى من الحالة الثورية اليمنية، مستوى سياسي واجتماعي ونفسي وثقافي خطير جداً ومتطرف، جعل منها حالة فوضوية انتقامية لا حالة متزنة، وهي من الجوانب المسكوت عنها في الخطاب النقدي الموجه للثورة.

قد نقول ان ما انكسر حتماً سوف يصلح، وما تخرب يعاد تعميره، لكن المشكلة والمأساة أن يصل التخريب والعبث الى العبث بضمائر الناس، وتدمير القيم داخلهم، واقتلاع نوازع المحبة والسلام والتوحد في وجدانهم، لتزرع مكانها الكراهية والحقد والعنصرية والعنف، ان يصل العبث الى تزييف الوعي وتدمير أسسه ومقوماته الاخلاقية، وإعادة تشكيله وفق نمط من العلاقات النفعية والجدل الانتهازي العقيم.

المأساة ان الحقيقة تتحول وهماً والوهم يتحول حقيقة وواقعاً وإرادة التغيير الخلاق تتحول الى إرادة ثورية مدمرة.. المأساة ان يتحول قتل الجنود في الطرقات وفي مواقعهم جهاداً مقدساً وتقرباً الى الله، وقتلى الارهابيين والمتمردين شهداء في سبيل الله..المأساة أن يدمر وطن ويمزق شعب، ولا يهتز ضميرهم الوطني لأنه قد صار قاحلاً أو ميتاً .. ألم أقل لكم إن ما يجري أشبه بالكوميديا التراجيدية؟!

ترديد الشباب ان لاعلاقة لهم بما يحدث من حرائق حالة عمى ثورية

لصناعة حدث عظيم، اجابا مباشرة أن هذا تنظير قد لا يمثل الحقيقة ، أدركت حينها سراً رئيسياً من أسرار الأزمة القائمة.

الانقلابيون

إن أسوأ ما ورثناه من الثقافة الثورية هو ترسيخ اتجاه وبعد واحد في مفهوم التغيير والثورة وهو «الانقلاب» ومنذ مرحلة ما بعد الاستقلال حتى اليوم، نمت وتراكمت هذه النزعة الثورية على حساب تنمية الوعي الوطني بالاصلاحات وتصحيح المسارات المنحرفة.. صحيح ان الانظمة لم تقم بالاصلاحات من ذات نفسها، بل مارست نوعاً من التطرف في علاقاتها السياسية مع الاحزاب، ولم تلتفت الى مطالبها، غير أن تطرفها وقبضتها الحديدية لن تحول أو

رصد 311 اعتداء لعصابة اولاد الاحمر وعناصر الاصلاح على مواطنين

رصدت الأجهزة الأمنية ٤٠ اختراقاً أمنياً قامت به عصابة أولاد الأحمر خلال شهر رمضان نجم عنها وفاة شخص وإصابة ١٠ جنود ومواطنين بالإضافة إلى رصد ٢٧١ اختراقاً ومخالفة للأنظمة والقوانين قامت بها عناصر أحزاب اللقاء المشترك وخاصة عناصر الاصلاح، من بينها رمي قنابل والتقطع على قاطرات المشتقات النفطية والاعتداء على خطوط الكهرباء ووضع الكمائن لضباط وأفراد الشرطة.

الى ذلك كشف تقرير امني صدر مؤخرا مصرع أكثر من (٣٠٠) إرهابي من عناصر القاعدة في محافظة أبين بالمواجهات التي تخوضها القوات المسلحة والأمن ضد عناصر التنظيم .بينهم قياديون من المطلوبين امنيا.

اللجنة الأمنية بدورها أشادت بنجاح تنفيذ الخطة الأمنية لشهر رمضان ، حيث اظهرت الإحصائيات وقوع (٢٦٦٦) قضية أمنية تم ضبط (٢١٨٧) قضية منها ، كما تم ضبط (٢٨٨٩) متهما بارتكاب هذه الجرائم ، بالإضافة إلى إحالة (١١٨٩) قضية جنائية إلى النيابة.. مشيرة الى انه تم استعادة ٤٤ سيارة من إجمالي ٨٧ سيارة مسروقة ، وكذلك ضبط ٧ مطلوبين أمنياً من المدرجة اسماؤهم في القائمة السوداء.

وفيما يتعلق بالحوادث المرورية فقد ذكرت وقوع ٣٥٧ حادثاً مرورياً نجم عنها وفاة ١٠١ شخص وإصابة ٥٠٢ شخص.

سفارة هافانا بصنعاء تتلقى التعازي في وفاة وزير الدفاع الكوبي

تلقى سعادة السفير الكوبي بصنعاء بونيا بينيتورا اكوستا يومي الثلاثاء والأربعاء الماضيين بمبنى السفارة العزاء في فقيد الشعب الكوبي الصديق وزير الدفاع خوليو كاساس ريغوري الذي توفي الاسبوع الماضي عن ٧٥ عاماً إثر إصابته بأزمة قلبية في هافانا -بحسب بيان نعي للحزب الشيوعي الكوبي.

وكان كاساس ريغوري الذي تولى حقيبة وزارة الدفاع في العام ٢٠٠٨م أحد خمسة نواب لرئيس الدولة وانضم للحزب الشيوعي في ١٩٩١م.. وقد كان أحد أهم مساعدي وحلفاء الرئيس راوول كاسترو لعقود، كما انضم في سن الثانية والعشرين الى الوحدة التي كان يقودها راوول كاسترو خلال ثورة ١٩٥٩م، ودعم كاسترو خلال الحرب الباردة وبعدها ثم بعد توليه رئاسة كوبا في ٢٤ فبراير ٢٠٠٨م.

وقد درس ريغوري في المعاهد العسكرية السوفييتية الخاصة بالنخبة وساهم في إنشاء صناعة محلية صغيرة لاستبدال المعدات السوفييتية الصنع التي لم تعد كوبا قادرة على الحصول عليها من موسكو.

السلطة المحلية بحضرموت تحذر من تصعيد الانقلابيين

حذرت السلطة المحلية بمحافظة حضرموت من حملة التصعيد التي يشنها الخارجون عن النظام والقانون وتصرفاتهم اللامسؤولة لإقلاق السكينة العامة وزعزعة أمن البلد واستقراره والتآمر والانقلاب على الشرعية الدستورية.

وقال بيان صادر عنها -حصلت «الميثاق» على نسخة منه- ان قيادة السلطة المحلية وأبناء المحافظة سيقفون موقفاً واحداً ضد كل من تسول له نفسه العبث بأمن واستقرار المحافظة وكل من يحاول الاصطياد في الماء العكر ويسعى بشتى السبل لتمزيق وحدة الصف وزرع الشقاق فيما بين أبناء المحافظة والذين يقودون المحافظة والوطن الى منزلق خطير لا يكترثون له.

وأوضحوا أن أبناء حضرموت ومنذ أقدم العصور قد ضربوا أروع الامثلة في التآخي والتراحم ووحدة الصف.. مؤكدين أنهم يضعون مصلحة الوطن فوق كل المصالح والاعتبارات الأنانية والضيقة.

وأكدوا في بيانهم فشل كل مخططات تعطيل الحياة العامة والعمل على الدفع بها نحو الأمام واسقاط كل رهانات الفاشلين والعاجزين الذين عادوا الوطن والمواطن وشرعيته الدستورية.

ودعا البيان الاحزاب السياسية الى الحوار كونه السبيل الوحيد لإخراج الوطن من أزمته وحل المشكلات والمعضلات.